تنظيم «القاعدة» من الداخل كما يروي ابو جندل (ناصر البحري).. الحارس الشخصي لبن لادن (4)

حاولت الابتعاد عن التنظيم بعد تجربتي في طاجيكستان.. واسلوب ابو عبدالله الهادئ اقنعني بالمبايعة

لم يكن هناك شيء اسمه القاعدة.. وبن لادن كان يعمل تحت امرة عبدالله عزام في البداية

اجرى الحوار: خالد الحمادي*

بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 كُتب الكثير والكثير وبعدة لغات عن تنظيم (القاعدة) الذي يتزعمه أسامة بن لادن، غير أن تلك الكتابات كلها كانت من خارج التنظيم ولم تعدُ أن تكون مجرد اجتهادات صحافية أو استندت على تقارير استخباراتية، قد يصيب بعضها ولكن قد يخيب أغلبها.

ولذا حاولت «القدس العربي» التميزّ والاقتراب من ذلك بإجراء هذه السلسلة المطولّة من هذه اليوميات والذكريات للحارس الشخصي السابق لأسامة بن لادن، المعروف بلقب (أبو جندل) واسمه الرسمي ناصر البحري، والذي حاولنا من خلاله فتح الأبواب المغلقة، وزيارة المملكة المحظورة، تنظيم (القاعدة)، والغوص في أغواره من الداخل عبر واحد من أهم العناصر التي تكتنز معلومات عميقة عنه وعن تركيبته التنظيمية.

وأبو جندل شاب غزير الثقافة، شديد الذكاء، محاور جيد، سريع البديهة، يبهرك بطرحه القوي كلما حاولت محاصرته بالاسئلة، ويتمتع بذاكرة حديدية، وفوق هذا كله مفتول العضلات، ولذا ربما كان اختياره لحراسة أسامة بن لادن ليس من قبيل الصدفة ولم يأت من فراغ.

عاد من أفغانستان إلى اليمن قبيل عملية تفجير المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن عام 2000 بحوالي شهرين، ألقي القبض عليه عقب ذلك وأمضى في السجن اليمني سنة و10 أشهر، منها 13 شهرا في السجن الانفرادي.

يعيش حاليا حرا طليقا في البلد التي ينحدر منه وهو اليمن، وتحديدا في عاصمته صنعاء، ويمارس حياة طبيعية فيها، يتجول بحرية في شوارعها ويمارس نشاطه المهني بكامل إرادته، غير أنه ربما ليس حرا من أعين (الرقيب) المحلي والخارجي، حيث يعيش تحت الإقامة الجبرية في العاصمة صنعاء ومحضور عليه الانتقال للعيش في المناطق اليمنية الأخرى، كما أن اتصالاته تحت الرقابة الدائمة.

بعد محاولات متواصلة استمرت ستة أشهر لفتح هذه الملفات، تعاقبت خلالها عمليات رفض مستمرة من قبل الأجهزة الأمنية لذلك، ثم الموافقة المبدئية أحيانا والرفض أحايين أخرى، حتى تمكنا من اقتناص هذه الفرصة لإجراء هذه السلسلة من الحلقات التي تبحر بالقارئ في محيطات تنظيم (القاعدة) وتغوص به في أعماق زعيمه ومؤسسه أسامة بن لادن، ابتداء من التنشأة والبيئة الدينية التي تربى عليها في السعودية، مرورا بحياته في السودان ونشاط التنظيم في إفريقيا، وانتهاء بحياته الشخصية وحياة التنظيم وعناصره في أفغانستان حيث استقر التنظيم والمنظمّ فيها حتى اليوم والتي اتخذ منها منطلقا لتنفيذ أبرز وأخطر العمليات العسكرية غير الحكومية، التي تسميها أمريكا (إرهابا) وتسميها القاعدة (جهادا)، والتي شكلت منعطفا هاما في السياسة الدولية.

في هذه الحلقة سيتحدث أبو جندل عن إرهاصات تعرفّه على أسامة بن لادن وعن الآلية التي استطاع بها بن لادن استقطابه وعن الاستفادة التي جناها من انخراطه في تنظيم (القاعدة).

حركة طالبان

■ كيف كان صيت حركة طالبان في مناطق الشمال الأفغانية، خاصة أنها كانت حركة وليدة ولا أحد يعرف عنها شيئا؟ بمعنى أنها لم تكن من الأحزاب أو الحركات الأفغانية العريقة؟

■ **في الحقيقة كان الجميع من أهل الشمال يضللوننا ويحذرونا من حركة طالبان ويخبرونا أنهم شيوعيون، وكنا حينها لا نعرف بالضبط هوية طالبان، وفجأة سمعنا أخبار المعارك وأن طالبان اقتحمت جلال أباد وأخذت طورخم وأرغنداب ودرونكا وبدؤوا بالدخول نحو الولايات الشمالية، فقلنا ما هذا الجيش العرمرم الذي يدخل المناطق بهذه السرعة، ولم نكن نعلم حينها أن حركة طالبان حركة اسلامية، وحركة دينية، فأصبحنا خائفين خوفا شديدا من أن يتم تسليمنا لهؤلاء الشيوعيين مرة أخرى وهم طالبان، فبدأنا نرسل أخوة على شكل فرادى الى ولاية قندز عن طريق جماعة الشيخ عبد رب الرسول سياف، وكنت آخر من تحرك منهم، لبشرتي السمراء خشية اكتشاف هويتي العربية، حيث تحركت مع قافلة عسكرية تابعة لقوات أحمد شاه مسعود، كان قائدها يجيد اللغة العربية لأنه كان يدرس في الرياض، وأوصلني الى خط التماس بين قوات طالبان والقوات الحكومية السابقة بقيادة احمد شاه مسعود، وقال لي: هذه حدودي وهذه قوات حركة طالبان، وربنا يوفقك. فأخذته على جنب، وسألته عن هوية طالبان وقُلت له أسألك بالله أصدقني القول: ما رأيك في حركة طالبان؟ فأجابني: هم خير منا. فقلت له: لماذا تقول عنهم الاذاعات الأفغانية في كابول وقندوز أنهم شيوعيون؟ فأخبرني أن هذه الاذاعات تابعة للحكومة، تحاول تضليل الناس لكسب ولائهم لها. بعدها تحركت باتجاه جبهة طالبان عبر طريق كان التنقل فيها متاحاً للعامة بين خطي القتال، وعندما وصلت الى الجهة التي تسيطر عليها حركة طالبان وكنت حينها في حالة من الذعر لكثرة ما سمعت عنهم وخشية ان يمُسكوا بي، تفاجأت بهم، اذ كانوا شبابا مطبقين للسنة باطلاق اللحى وبملابسهم التي لا تخلو من العمائم وكانوا مكحلي العيون، ورأيت بعضهم خلف المدرعات يقرأ القرآن، فنظر لي أحدهم وسألني: أنت عربي؟ فأجبته: نعم أنا عربي. فصاح باتجاه القائد: عربي، عربي، عربي، واجتمع لذلك الكثير من الناس حولي، وأصروا على أن أتناول معهم الشاي، وشرحت لهم وجهتي فوضعوني بسيارة تحت الحراسة وقالوا لي أنت آمن حتى تصل الى جلال أباد، رغم أن المسافة كانت بعيدة جدا، والطريق حسب علمي مليئة بالعصابات وقُطّاع الطرق، ولكن الوضع تغيّر، فعلا كانت الطريق آمن، لا أثر فيها لعصابات ولا لقطاع طرق والبلاد فعلا آمنة. وفي تلك الفترة التي تعرفت فيها على حركة طالبان حصل لقاء بيني وبين الشيخ أسامة بن لادن في جلال أباد والذي كان الخطوة نحو انضمامي لتنظيم (القاعدة) فيما بعد.**

التعرف على بن لادن

■ متى تعرفت على أسامة بن لادن؟

■ **تعرفت على الشيخ أسامة والتقيته شخصيا عندما رجعت من رحلة الشمال التي كانت الى طاجيكستان، وتحديدا عندما وصلت الى جلال أباد، قادما من كابول التي كانت محطة العودة من طاجيكستان.**

■ عند ما رجعت الى جلال أباد، من رحلة الشمال، هل كان بن لادن مقيما في جلال أباد؟

■ **نعم، كان الشيخ أسامة مقيما في جلال أباد منذ دخولنا الى أفغانستان وحتى عودتنا الى جلال أباد، ولذلك عندما سمع الشيخ أسامة أن هناك مجموعة من العرب متوجهة الى طاجيكستان من النوع الذي يحب يقابل أبو عبد الله (بن لادن)، أنا حق جبهات، وأنا الآن خارج من أفغانستان وراجع الى اليمن، وهناك سأقرر اما أن أتزوج واما أن أتوجه الى الشيشان»، حيث كنا حينها نرى أن موضوع الاستقرار والبقاء في أفغانستان بدون قتال نوع من العذاب وعقوبة ربانية، وأن الله غاضب علينا، لأننا كنا قد نذرنا أنفسنا للجهاد وانتهى الموضوع، وأن مهمتنا في الحياة أن نحمي الأمة حيثما استطعنا أن نذهب. حتى أننا كنا اذا سمعنا أن أي شاب من اخواننا تزوّج نذهب نُعزّيه وليس نهنئه كما جرت العادة، ونقول له عظّم الله أجرك في الجهاد، وانتهى الموضوع. فقلت لهم اذا وصلت الى اليمن أنا بين أمرين، اما أن أتزوج فتُعزّوني واما أن أذهب الى الشيشان فالحقوا بي. فحاول الأخ مهند وحاول الشباب الآخرون أن يقنعوني بأهمية زيارة الشيخ أسامة ولم يستطيعوا ذلك، حتى أنهم في النهاية أرسلوا لي الأخ أبو محمد المصري، وهو طالب علم ولطلاب العلم أسلوبهم الخاص بالاقناع بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية، وقال لي: يا أخي من حق أخيك المسلم أن اذا دعاك فأجبه، وتلبية دعوة الأخ أبو عبد الله حق عليك، فقلت له: والله أنتم يا مطاوعة ما في منكم فرار، فضحك الأخ أبو محمد المصري، ووافقته على الذهاب معه الى الشيخ أسامة.**

■ هل أرسله بن لادن اليك لاحضارك اليه؟

■ **نعم، رجع أبو مهند الى الشيخ أسامة وقال له: أبو جندل رافض يأتي اليك، فالشيخ أسامة بحكم الدعاية التي شنّها مهنّد عني لديه، وأني من الشباب الذين عقلياتهم نظيفة، و... و... الخ ولم أكن أعرف بذلك، وبما شنه مهنّد عني، وكان مهنّد يحاول بشتى الوسائل ايصالي الى الشيخ أسامة، فقلت خيرا انشاء الله ووافقت في الأخير. ذهبنا الى الشيخ أسامة وقابلته وبقينا مع بعض ثلاثة أيام، تعرفنا خلالها عليه، وأكلنا مع بعض، وكان خلال هذه الثلاثة أيام يشن نوعا من الحملة الاعلامية باتجاهنا، ويقنعنا بمبرر دعوته للجهاد ضد أمريكا، وذهب يحكي لنا الحال السيئة التي وصل اليها وضع الجزيرة العربية ويقنعنا بما حصل فيها من مساوئ جرّاء التدخل الأمريكي في المنطقة، وأنه شخصيا عرض على المشايخ وعلى النظام في السعودية العديد من الحلول لذلك، ولكن دون جدوى، وكنا كل ما نملكه حينها من معلومات عن قضية التدخل الأمريكي في الخليج، قد عرفناها أثناء تواجدنا في السعودية ولكن حيثياتها وبواطن الأمور والروابط المتعلقة بذلك كانت غائبة عنا حتى قابلنا الشيخ أسامة في ذلك المكان وكشف لنا الكثير من الأمور التي لم يُكشف عنها الستار من قبل.**

■ لماذا، هل لأنه كان لديه أسلوب مقنع في الحديث، أم لأنه وجد أقنية فارغة فملأها بما يريد؟

■ **لأنه كان من المحتكين مباشرة بقضية التدخل الأمريكي في الخليج والغزو العراقي للكويت، فكان يحكي لنا من واقع تجربته الشخصية، وهذا الطرح القوي فتّح لدينا آفاقا بعيدة وعميقة عن هذه القضية، وعن وضع العلماء في السعودية ووضع التحالف القائم بين النظام السعودي والحركة الاسلامية السلفية، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذه كلها أصبحنا نلُم بها من كلام الشيخ أسامة وطريقة كلامه، طبعا بحكم تربيتنا الدينية السلفية لم أتقبل كلام الشيخ أسامة بالكامل مئة بالمئة، ولكنها فتّحت أمامي مجالا للبحث، وأصبحت أبحث عن بعض الأمور من خلال الاتصال ببعض الأشخاص الذين أعرفهم والبحث في الكتب والمطبوعات الصادرة هنا أو هناك، وبالذات تقارير ومنشورات حركة الاصلاح السعودي، وبدأنا التواصل بشأن قضية الشيخ سليمان العودة، وبدأنا نعيد سماع الأشرطة القديمة التي كنا نسمعها في السعودية، مثل (من وراء القضبان)، (الثبات حتى الموت) و(حتمية المواجهة) وأصبحنا بعد ذلك نفهم الرسائل التي كانت توجهها هذه الشرائط التي كانت توجه الينا بصيغة لم نكن نستوعبها من قبل، ولكن بعد الجلوس مع أحد أقطاب حركة الاصلاح السعودي ومع الشيخ أسامة تلقيناها بطريقة مختلفة، واستوعبنا القضية بطريقة أخرى، وصار الادراك لدينا بشكل أقوى.**

وبحكم تجربتنا العسكرية وتجربتنا في حمل السلاح قلنا: ما هي أمريكا؟ اذا كنا نجحنا في العديد من المواجهات المسلحة والجبهات العسكرية ضد الصرب والروس وغيرهم، فأمريكا لن تكون شيئاً جديدا، وكنا كثيرا ما نجلس مع الأخوة الذين قاتلوا ضد الأمريكان في الصومال، وكنا نسمع عن الأخوة الذين ضربوا الأمريكان في فندق عدن مطلع التسعينات، وعن الأخوة الذين فجروا مساكن الأمريكان في الرياض والخبر، فوصلنا الى قناعة بأن أمريكا لا تفرق شيئا عن غيرها من القوى التي قاتلنا ضدها، حيث أصبحت (ملطشة) لكل من هبّ ودب، وكل من عاداها أعطاها على قفاها، فقررتُ الالتحاق بالشيخ أسامة بن لادن، وكانت هذه بداية العمل مع تنظيم (القاعدة).

قصة اول لقاء

■ كيف كانت تفاصيل اللقاء الأول بينك وبين بن لادن، وعلى ماذا كان يركز في كلامه وتصرفاته لجذبكم اليه؟

■ **الحقيقة ان تفاصيل قصة لقائي الأول بالشيخ أسامة جميلة جدا، رغم أنه قد مر عليها أكثر من ست سنوات، وتفاصيل ذلك أني عند ما رجعت الى جلال أباد وصلت الى مقر هيئة الاغاثة الاسلامية العالمية فيها، لأني لم أكن أعرف أين استقر رفاقي العرب من مجاهدي مجموعة الشمال، فأخبرت الأخوة العرب من مسؤولي الهيئة بذلك فرفعوا جهاز المخابرة وبدؤوا ينادون على نجم الجهاد، ونجم الجهاد كان موقع مقر الشيخ أسامة ومن معه من العائلات والمجاهدين في جلال أباد، فصاروا ينادون على نجم الجهاد: طيبة طيبة، وهو الاسم الرمزي لأحد الأخوة هناك، فردوا عليهم من موقع نجم الجهاد وسألوهم: ما تريدون؟ فأجابوا: عندنا واحد من العرب يريد الأخ مهنّد. فقالوا: من هو؟ فردوا عليهم: أخبروه أنه ابن عمه. فعرف الأخ مهنّد مباشرة أنه أنا، فقال لهم: أوصلوني اليه، وفعلا وصل الينا الأخ مهنّد بعد صلاة العصر ومعه نحو خمسة مسلحين من الأخوة المجاهدين من تنظيم (القاعدة) واستقلوا سيارة خاصة وأخذوني الى مَضَافة (دار ضيافة) سرية في مدينة جلال أباد، كان الشباب العرب يرجعون اليها من مناطق الشمال، فجلسنا في هذه المَضَافة، وأول ما دخلتها رآني الشباب رفقائي في رحلة الشمال وفرحوا وهللّوا وكبّروا، وكان منهم الأخ عزام، عليه رحمة الله، الذي فجّر السفارة الأمريكية في نيروبي. جلست مع بعض الشباب وكانوا يحكون لي ويكررون: الله ما أحسن الجلوس مع الشيخ أسامة، فقلت لهم ما لدى الشيخ أسامة؟ فكانوا يجيبون: أنت لا تعرف ما لدى الشيخ أسامة، ستنبسط واياه و...و... الخ فكنت أقول لهم: ما الذي عنده؟ فقالوا: بصراحة عند الشيخ أسامة طرح جديد في قضية هامة. ولأنهم كانوا قد سبقوني للوصول اليه بأسبوع ويترددون عليه يوميا، سوّقوني اليه طوال ذلك الأسبوع قبل وصولي اليهم، وكنا حينها في تاريخ 25 شعبان أي قبل رمضان بنحو 4 أيام فقط، وكانوا يقولون لي: «الله.. ضروري تذهب الى الشيخ أسامة لأنه سيقول كلاما مهما كثيرا»، ولم أكن أتفاعل مع كلامهم بجدية، وكان الأخ مهنّد يأتيني في الليل ونجلس واياه في حديقة المضافة، ويكرر علي طوال الليل: الشيخ أسامة عنده قضية، وأنه أعلن الجهاد على أمريكا، ولا بد أن نحارب أمريكا، و... و...و...الخ، ويطلب مني أن أزور الشيخ أسامة، فكنت أقول له: هذا الموضوع ليس في بالي، لأني الآن عازم على الرجوع لليمن، اما أن أتزوج من بنات عمي وأبقى في البلد، واما أن أنطلق للجهاد باتجاه الشيشان، وهذا الموضوع لا جدال عليه، فحاول وحاول معه الشباب لاقناعي وما تقبلت منهم أي شيء ولم يتوصلوا معي الى نتيجة. وفي ثالث يوم وتحديدا في 27 شعبان جاءني الأخ أبو محمد المصري، وهو من كوادر (القاعدة)، وكلمني بصريح العبارة: الشيخ أسامة يتمنى أن يراكم ويجلس معكم ومع الشباب، ويتحدث معكم، وعنده قضية وموضوع يريد يعرضه على الشباب، فوافقت على الذهاب الى الشيخ أسامة، وكنت أنوي حينها زيارة الشيخ أسامة مرة واحدة فقط من باب رفع العتب ولا أعود اليه مرة أخرى، فذهبت اليه والتقى بي الشيخ أسامة وبدأ يتحدث الينا ضمن حلقة تضم مجموعة كبيرة من الشباب، وكنت أجلس الى يمنيه في نفس الصف، وكان كلما يتحدث ينظر الي ويقول: هل فطنت يا أبو جندل، هل فهمت يا أبو جندل، وأرد عليه: نعم فهمت، نعم فطنت. وفي المساء عندما قررنا العودة الى المضافة التي كنا نقيم فيها، جاءني الشيخ أسامة وقال لي: كيف حالك يا أبو جندل؟ وسألني كم لك منذ أن أكلت معصوبة القرموشي؟ والمعصوبة هي وجبة شعبية بالسعودية، فأجبته: منذ أكثر من أربع سنوات تقريبا، فقال لي: اذا تُفطر عندي غدا صباحا معصوبة، لأني عادة أُفطر على المعصوبة، فكأن الرجل كان يشعر أني مبيّت نية أخرى، وكان لديه نوع من الفراسة، فقلت له: أعذرني يا شيخ من هذه الدعوة فقد لا أستطيع الحضور، فألح علي وقال: أبدا، ضروري تحضر واذا دعاك أخوك فأجب دعوته، فقلت: خيرا انشاء الله سآتيك في الصباح، وكان يقول لي: حق الضيافة ثلاثة أيام، وبعد انتهاء الثلاثة أيام خذ راحتك وقرر ما تشاء، وطبعا ظل الشيخ أسامة خلال الثلاثة أيام يتحدث معنا ويطرح علينا قضية الجزيرة العربية والاحتلال الأمريكي لها، طبعا نحن كنا مقتنعين بالتواجد الامريكي، وبوجود الاحتلال، لكن وجهة نظرنا تختلف عن طرحه بحكم فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمد صالح بن عثيمين اللذين أفتوا بجواز الاستعانة بالكافر، ولهذه الفتاوى كنا ساكتين، والا ما كنت أتوقع سكوت أحد، اذا جاء الشيخ بن باز أو الشيخ بن عثيمين بعكس ذلك وقال: لا يجوز دخول الكفار جزيرة العرب وأنها محرمة عليهم، وجاءنا بالأدلة التي أوردها لنا الشيخ أسامة؛ لو كان تم ذلك لا أتوقع أن أحدا من الشباب كان يمكن أن يسكت، وأعتقد أنه كانت ستقوم ثورة في السعودية ضد التدخل الأمريكي في الجزيرة العربية اذا أعلنت مثل هذه الفتوى، ولكن المشايخ كانت لديهم وجهة نظر أخرى، كانوا يريدون ابعاد الفتنة عن البلاد، لأنه فعلا لو اشتعل القتال داخل المملكة العربية السعودية بين القوات الأمريكية الغازية التي جاءت بصيغة الحماية والدفاع وبين أبناء السعودية والخليج لن يكون هناك تكافؤ من حيث الامكانيات والسلاح، لأن الأمريكيين أقوياء في هذا الجانب، وقد يتحول الموضوع الى عذر تتخذه واشنطن ذريعة لاحتلال البلاد، خاصة وان الشباب كانوا غير مستعدين ولا مهيأين لمثل هذه المواجهة المسلحة ولم يكونوا مؤهلين عسكريا.**

دروس بن لادن

■ كم استمر بن لادن يعطيكم الدروس والأحاديث لاستمالتكم وجذبكم الى صفه في تنظيم (القاعدة)؟

■ **ظل الشيخ أسامة بن لادن ثلاثة أيام يلقي علينا دروسا يومية وحديثا موجها بدقة نحونا، فكنت أنظر للشباب والشباب كلهم ينظرون الي، بحكم أن الشباب يعرفون أني كنت أحد أعضاء مجلس الشورى لمجموعة الشمال، وكنت نائب احدى مجموعات الشمال التي كانت مهيأة للجهاد في طاجيكستان، فكان الشباب يحاولون معرفة رأيي في الموضوع، حيث كنا نرجع في المساء ونجتمع بالمضافة عقب عودتنا اليها وبدأ الشباب يسألوني: ما رأيك يا أبوجندل؟ ما الذي عندك بهذا الموضوع؟ فقلت لهم: «والله كل واحد فيكم رجل وبالتالي يفترض أن يقرر بنفسه ويتبع الذي برأسه، أما أنا فوضعي مختلف». وكان الشباب يحاولون أن يعرفوا قراري، حتى يفعلوا ما سأفعله. وبعد ثلاثة أيام من الجلسات المتواصلة مع الشيخ أسامة وتحديدا قبل شهر رمضان بليلة طلبني الشيخ أسامة بعد العصر وقال لي: ما رأيك يا أبو جندل في الذي سمعته؟ قلت له لا أخفيك يا شيخ بأن كلامك مقنع وتطرح لقضية واضحة، ولكن الواضح عندي أنه ليس لديك أحد من أهل الأرض، أي من أهل الجزيرة العربية صاحبة القضية، فقال لي: فعلا كلامك صحيح، معظم الأخوة حولي مصريون وجزائريون ومن شمال افريقيا، ولذلك أدعوكم للانضمام الى قافلتنا. كنت أظن أن هذه الحقيقة غائبة عن الشيخ أسامة ولكني اكتشفت أنه كان يركز كثيرا على أهل الجزيرة العربية وبالذات على أهل الحجاز؛ وكنا نحن- مجموعة الشمال- أول مجموعة انضمت بشكل جماعي الى تنظيم (القاعدة)، حيث اختلى الشيخ أسامة بكل واحد فينا والكثير منا أعطاه البيعة فورا، وطبعا كانت البيعة في غاية السرية ولا أحد يعرف من الذي أعطاه البيعة من الذي لم يعطه؛ وأما أنا فقد اشترطت عليه شرطا لأداء البيعة، وقلت له أنا مستعد للعمل معك ولكن بشرط، فقال لي: ما هو؟ قلت في حال خرجتُ من تحت ظلكّ ومن تحت قيادتك للمنطقة التي أنت فيها الى مكان آخر، ليس لك أمر عليّ. فالشيخ قَبِل بهذا الشرط وقال لي: أنا قابل بشرطك، وبعد أدائي البيعة اثر قبوله بشرطي بقيت معه شهر رمضان بالكامل في حالة عبادة وتعبّد؛ وكأن الشيخ كان يهدف الاستعانة بأبوجندل لفترة من الناحية الادارية والاستفادة من قدرته على الطرح وقدرته على الكلام مع الآخرين، فكان ربما يريد أن يستفيد مني في هذه الجزئية، فبقيت معه وكان الشيخ أسامة يركّز عليّ في موضوع التدريب، بقصد القيام بنوع من التعبئة الفكرية أثناء تدريبي ونوع من التوجيه والتثقيف حول القضية الرئيسية التي يحملها، فشاركت بالعديد من الدورات العسكرية، مثل دورة تأسيسية تكتيكية لحرب العصابات وبعض الدورات الخاصة باستخدام الأسلحة الرشاشة، وكنت كل ما أنتهي من دورة يستدعيني الشيخ أسامة اليه، فأذهب وأبقى عنده.**

البيعة السرية

■ أشرت الى أن البيعة كانت سرية، فهل هذا تأكيد بأنه ليس كل من عاشر أسامة بن لادن أو عمل معه يكون عنصرا في (القاعدة)؟

■ **نعم، ليس شرطاً أن يكون كل الذين حول الشيخ أسامة أعضاء في تنظيم (القاعدة)، فقد تجد الأخ أمامك ويشارك معك في الجبهة وتجده حول الشيخ أسامة ويذهب ويأتي الى مجالسه ولا يمتنع عنهم الشيخ أسامة ولكن ليس عندك جزم بأن هذا الشخص في (القاعدة) أو ليس في (القاعدة)، لا تستطيع أن تقرر هذا الشيء، فليس من الضروري أن يكون عنصرا في (القاعدة) حتى لو كان مع الشيخ أسامة. العديد من الشباب عاشوا معه سنتين وثلاثا ولم يبايعوه ولم يكونوا عناصر في (القاعدة) رغم حضورهم المكثف وتواجدهم الدائم عنده. أحيانا كنا نسمع أن أحد الشباب نفذّ عملية استشهادية، وحينها فقط كنا نتأكد أنه قد أدى البيعة للتنظيم، حيث كان تنفيذ العمليات الاستشهادية نوعاً من الدلائل التي نعرف بها المبايعين للتنظيم من غيرهم.**

■ شاركتَ بالجهاد في البوسنة والصومال وطاجيكستان، ما الجديد عسكريا الذي استفدته من انضمامك الى تنظيم (القاعدة)؟

■ **بعد قضائي شهر رمضان مع الشيخ أسامة، قرر بعد العيد بيومين أو ثلاثة أيام ارسالي الى معسكرات (جهاد وال) في مدينة خوست، للتدريب العسكري ولاعطائي جرعة مركزة في العديد من الجوانب العسكرية الهامة، وفي كيفية رسم الخطط العسكرية وخوض المعارك وغير ذلك، صحيح أننا تدربنا في البوسنة وعرفنا بعض التجارب العملية داخل الصومال وداخل طاجيكستان لكن مفاتيح العمل ووضع النقاط على الحروف كانت فعلا داخل معسكرات (القاعدة) التابعة للشيخ أسامة بن لادن، لأن فترة تدريبنا في البوسنة كانت قصيرة بحكم الحرب الدائرة هناك، والصومال لم يكن فيها عمل عسكري منظّم. وكانت معسكرات (جهاد وال) تسمى عند تأسيسها معسكر الفاروق وهو أول معسكر لتنظيم (القاعدة) في أفغانستان وهو ذات المعسكر الذي قصفته صواريخ كروز الأمريكية في العام 1998 عقب عمليتي تفجير السفارتين الأمريكيتين في نيروبي ودار السلام.**

■ من خلال معايشتك الطويلة لأسامة بن لادن فيما بعد، كيف نشأت فكرة تنظيم (القاعدة) لديه؟

■ **البدايات الجهادية العملية للشيخ أسامة لم تكن تحت لافتة أي شيء اسمه تنظيم (القاعدة)، وانما كان يعمل مع الشيخ عبد الله عزام في مكتب الخدمات، بمدينة بشاور الباكستانية، لتنسيق وتسيير أمور المجاهدين العرب، القادمين من بلدانهم والمغادرين من أفغانستان، بحيث كان بن لادن يموّل خدمات هذا المكتب وعزام يدير عملياته بشكل مباشر أو غير مباشر، ومع تزايد قدوم المجاهدين العرب الى أفغانستان، فتحوا معسكرا للتدريب أسموه معسكر (صدى)، وكان المقصود من اسمه أنه صدى للجهاد، وذلك على الحدود الباكستانية الأفغانية. وبعد قدوم الكثير من كوادر جماعة الجهاد والجماعة الاسلامية المصرية المؤهلين عسكريا أنشأ بن لادن ومن كانت تربطه به أي علاقة جهادية معسكرا جديدا للتدريب أكثر تطورا، كان بمثابة كلية عسكرية، سمي بمعسكر (الفاروق) أو كلية الفاروق العسكرية.**

وتجاوز هذا المعسكر عملية التدريب السريع على السلاح لمدة 45 يوما حسب ما كان معمولاً به في معسكر صدى، وانما قام على أساس منهجية عسكرية واضحة، وكلية حربية يمر المنخرطون فيها بعدة مراحل ومستويات، حتى يتخرجوا منها في النهاية عند المستوى القيادي، كقادة ميدانيين، يستطيعون قيادة أي عمل جهادي في أي مكان. وكانت الفكرة من انشاء هذه الكلية الحربية فكرة عالمية، بحيث اذا انتهى الجهاد في أفغانستان، يستطيع المتخرجون منها الذهاب الى أي مكان في العالم وقيادة المعارك هناك باقتدار، وقد تحققت هذه الأهداف بالفعل من خلال النجاح الذي حققه الشباب الذين انتقلوا الى العديد من الجبهات خارج أفغانستان، في البوسنة والهرسك، في الشيشان، في الفلبين، في كوسوفو، اريتريا، الصومال، وبورما، وغيرها، وهذه الجبهات لم تنشأ من فراغ وانما نشأت بفعل كوادر مدرّبة، تدربت تدريبا منهجيا عسكريا. وكانت مناهج هذه الكلية أو المعسكر نفس المناهج العسكرية للكليات النظامية وتشمل كافة التخصصات، وكانت فيها لجنة تسمى لجنة المناهج العسكرية. وطبعا فيما بعد أسميت كلية الفاروق العسكرية بمعسكر القاعدة، من منطلق أنها قاعدة عسكرية للجهاد، ثم معسكر قاعدة أنصار الله، ولم يكن وقتئذ هناك أي شيء اسمه تنظيم (القاعدة).

وكان حينها معروف في الساحة الجهادية داخل أفغانستان وفي بشاور عند ما يرى الناس شخصا يقولون هذا من أتباع الجماعة الاسلامية المصرية، هذا تابع للجزائريين، هذا تابع للمغاربة، لكن أصحاب بن لادن لم يكن لهم مسمى واضح، لأنهم كانوا خليطا من الدول العربية جمعاء، فأسموهم أصحاب القاعدة، ومع الأيام تطوّر هذا الأمر فأصبح لهم لقبا ملاصقا لهم، أي أصحاب القاعدة، ومع مرور الزمن وتطور العمليات الجهادية داخل وخارج أفغانستان بعد انتهاء الجهاد الأفغاني الأول ألصق هذا الاسم بالعناصر الجهادية من أتباع بن لادن، فبرز صيت هذا المعسكر الى مستوى التنظيم الحالي، ليصبح ما يسمى في العالم كله الآن بتنظيم (القاعدة)، والا لم يكن هناك شيء اسمه تنظيم (القاعدة) من أول أيام انشاء هذا المعسكر.

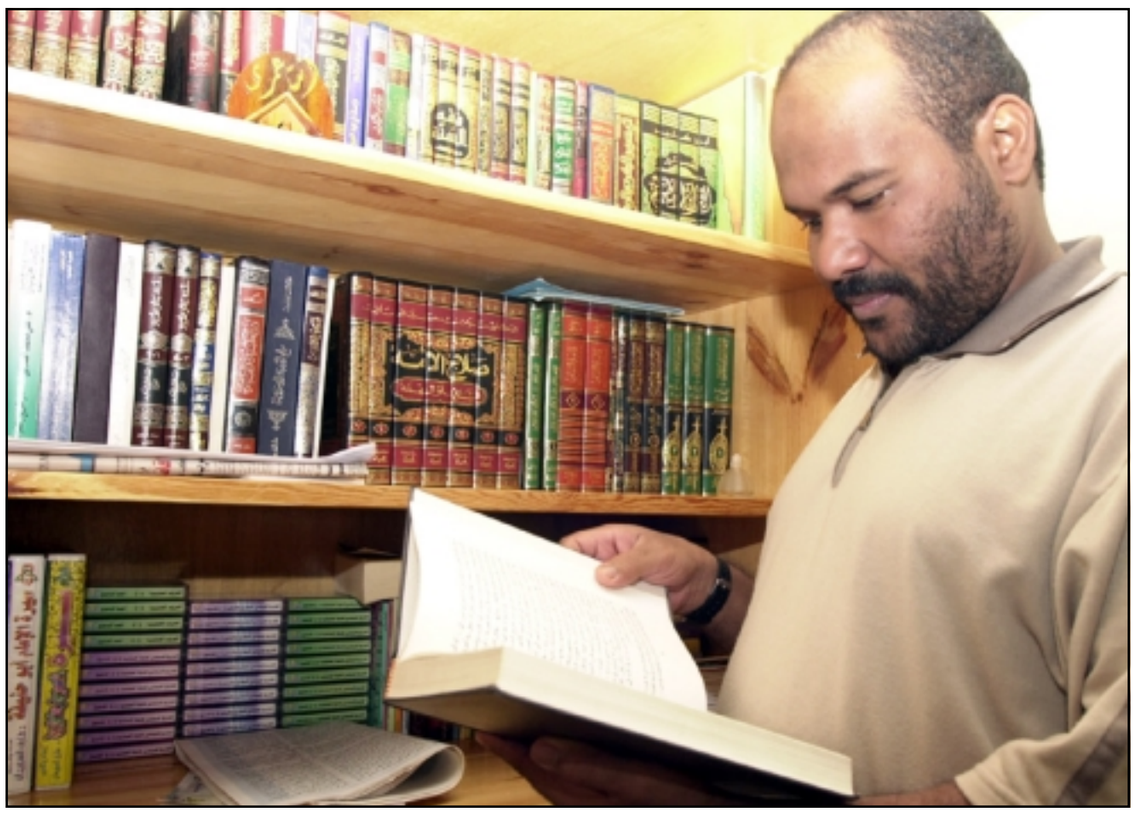

ابو جندل في مكتبته

قلت للشيخ بن لادن: لا أخفيك يا شيخ بأن كلامك مقنع وتطرح قضية واضحة... ولكن الواضح عندي أنه ليس لديك أحد من أهل الجزيرة العربية صاحبة القضية فقال لي: فعلا كلامك صحيح، معظم الأخوة حولي مصريون ومن شمال افريقيا، ولذلك أدعوكم للانضمام الى قافلتنا. كنت أظن أن هذه الحقيقة غائبة عن الشيخ أسامة ولكني اكتشفت أنه كان يركز كثيرا على أهل الجزيرة العربية وبالذات على أهل الحجاز....

* مراسل «القدس العربي» في صنعاء